



معركة لطم الخدود ! (2 - 2)

بقلم : رائف محمد الويشي

10 أبريل 2012

ذكرنا في الحلقة الماضية مقدمة سريعة للعقيدة التي تؤمن بها إسرائيل للسيطرة على مصر لما تمثله من مكانة فريدة قادرة على التحدي ، وذكرنا ضمنا أن تلك العقيدة تعتمد على ثلاثة بدائل وهي ما يلي :

- 1- وضع شخصية موالية لإسرائيل على رأس القيادة المصرية لتنفيذ الاتفاقيات المذلة معها حتى لا تنهض بالمسؤوليات الملقاة على عاتقها ، وأهمها تحرير المقدسات ، ثم الإيقاع بين تلك القيادة وبين الشعب لقطع الطريق أمام القيادة المصرية ، بإجبارها على انتهاك حقوق الإنسان وتغطيتها دوليا ودفعها إلى نهب مصر وتخريبها ..
- 2- إذا فشلت إسرائيل في إيجاد القيادة المصرية التي تنفذ مطالبها وجاءت قيادة رشيدة لتحكم مصر ، فإن إسرائيل ستقوم بوضع العراقيل أمام البرنامج التنموي المصري من خلال علاقاتها الخارجية ، كذلك فإنها تستطيع اللعب في بعض ملفات مصر الداخلية الحرجة (ملف المياه مع أثيوبيا – ملف الأقباط – ملف الانقلاب العسكري ...) ..
- 3- إذا فشلت إسرائيل في تحقيق النتائج المرجوة من إعاقه ملف التنمية في مصر ، فإن الورقة الأخيرة والحاسمة التي في يدها ستكون شن حرب عسكرية على مصر تعيدها إلى المربع الأول ..

سنناقش في الحلقة الثانية من هذه الدراسة البند الثالث فقط ، لننتعرف على الإمكانيات العسكرية لكل من مصر وإسرائيل .. إذا كنا نردد منذ عشرين عاما أن العالم قد أصبح يعيش في قرية صغيرة ، فالثابت أن هذه الحالة قد انتهت اليوم ، والصحيح هو أن نقول أن العالم قد أصبح يعيش في شقة صغيرة ، وقد تمر خمس سنوات أو أكثر قليلا وحينها سنقول أن العالم يعيش في غرفة صغيرة ، وسيلي ذلك مرحلة ثالثة سنقول فيها أن العالم يعيش في سرير واحد ، وقد تكون هي المرحلة الأخيرة التي ينزل في أعقابها المهدي ليملا الدنيا عدلا كما ملئت جورا ..

قد يسأل القارئ الكريم ، ماذا تقصد بأسلحة الجيل السادس ؟

صنف الخبراء العسكريون الأسلحة في أجيال مختلفة منذ أن قام قابيل بقتل أخيه هابيل ، وقال المؤرخون أن هناك مليار وربع إنسان قتلوا في 15 ألف معركة عسكرية خلال الخمسة آلاف سنة الماضية (225 مليون منهم قتلوا في القرن الماضي وحده !) ، وأن البشرية لن تتخلى أبدا عن الدخول في معارك دموية لحل النزاعات القائمة بين الدول ، وقد وضع العسكريون أجيال تلك الأسلحة كما يلي :

- 1- **أسلحة الجيل الأول :** وتمثل المرحلة البدائية للإنسان ، وقد استمرت حتى بداية القرن الخامس عشر ، وتشمل الحجارة – السهام – السكاكين – السيوف – الخيول – المنجنيق ..
- 2- **أسلحة الجيل الثاني :** عائلة الأسلحة النارية التقليدية (مسدس – بندقية – مدفع – دبابة – طائرة – غواصة – صاروخ) - عائلة الأسلحة الكيماوية ..
- 3- **أسلحة الجيل الثالث :** عائلة الأسلحة الذرية (نووي – هيدروجيني – بلاتوني) - عائلة الأسلحة البيولوجية - عائلة الأسلحة الجرثومية ..
- 4- **أسلحة الجيل الرابع :** عائلة الأسلحة الذكية ، استخدمت بشكل محدود في كوسوفو وأفغانستان والعراق وليبيا ، وتشمل أنواع من القنابل الذكية الموجهة فضائيا ، والغواصات المزودة بأحدث التقنيات ، والصواريخ الباليستية طويلة الأمد ، والصواريخ المضادة للصواريخ ، والأنواع الحديثة من طائرة F 16 ، وكل طرازات طائرة F 15 ، القاذفة B2 (قد تدخل الجيل الخامس بإضافة بعض التعديلات) ..
- 5- **أسلحة الجيل الخامس :** لم يتم استخدامها حتى الآن ، وتشمل الطائرات ذات التقدم الفائق (سوبر سونيك) مثل القاذفة المقاتلة الأمريكية

F 22 ، وشقيقتها F 35 ، والقاذفة المقاتلة الروسية T 50 وشقيقتها SU 35 ، الطائرات المقاتلة والتجسسية بدون طيار ..

6- أسلحة الجيل السادس (أسلحة السيطرة والموت الرحيم) : وهى أسلحة يتم تجربتها في سرية تامة ، وتشمل الأسلحة المناخية - الأسلحة الجيوفيزيائية - أسلحة الروبوت - أسلحة فيروسات العملاقة للكمبيوتر (أسلحة السايبر نتك) - أسلحة النانو

أين إسرائيل من هذه الأجيال ؟

لاشك أن هذا السؤال يدور بعقل كل مصري منذ أن قرأ اسم المقال ، ويمكن الإجابة عليه كما يلي :

هناك مجموعة مكونة من أمريكا (بصورة أساسية) وروسيا والصين وإنجلترا وفرنسا وإسرائيل وربما الهند ، وهم يمتلكون الأجيال الستة السالفة الذكر .. لقد حقق العلماء السوفيت الذين هاجروا إلى إسرائيل نقلة نوعية في صناعة السلاح الإسرائيلية وصعدوا بها إلى المرتبة الخامسة أو السادسة في تصدير السلاح (بعد أمريكا وروسيا والصين وإنجلترا وفرنسا) ..

هناك مجموعة مكونة من باكستان وأوكرانيا وإيران ، ويفصل بينها اختلاف بسيط ، فالباكستان تعتبر عضوا في النادي النووي ، ودخلت إلى بدايات الجيل الرابع بحصولها على تكنولوجيا متطورة للصواريخ الباليستية من الصين .. أوكرانيا تشبه إلى حد بعيد الحالة في باكستان غير أنها انسحبت بإرادتها من النادي النووي وسلمت ما لديها من قنابل ذرية إلى المجتمع الدولي ، لكنها ما زالت تحتفظ بالخبرات والبرامج النووية ، كما أنها متفوقة في مجال الصواريخ الباليستية الحديثة .. إيران في حالة تقوقع ، فهي تملك قدما غير ثابت في الجيل الثالث (المجال النووي) وتملك قدما ثابتا في الجيل الرابع (الصواريخ الباليستية الحديثة) ، وجاءت حادثة سيطرتها على الطائرة التجسسية بدون طيار الفاتحة التقدم الأمريكية RQ-170 في بداية الشهر الحالي لتقول أنها تملك قدما في أسلحة الجيل الخامس ..

هناك مجموعة مكونة من أستراليا وألمانيا واليابان وهولندا والبرازيل وربما الأرجنتين ، وهذه مجموعة تستطيع التحول في غضون أسابيع أو شهور والوصول إلى الجيل الرابع ، وقد تستطيع الدول الأربع الأولى بالمجموعة الدخول إلى الجيل الخامس ..

عن أسلحة المناخ : كان لأمريكا سبق في استخدام هذا السلاح في فيتنام ، ففي عام 1968 شهدت فيتنام الشمالية موجات غزيرة من الأعاصير والأمطار لم تشهدها في تاريخها ، لم يعرف العالم سببا لذلك إلا بعد أن صرح الأمريكيون أنفسهم في أعقاب انتهاء تلك الحرب في عام 1975 بأن سلاح الجو لديهم كان يعالج السحب والغيوم لهزيمة الثوار بالمطر الغزير ، كما صرحوا بأنهم فعلوا نفس الشيء مرتين في بداية السبعينات أيضا في عمليتين ، أطلق على الأولى اسم " المحرث الروماني " ، وأطلق على الثانية اسم " ذراع المزارع " .. دفع التصريح لما حدث إلى قيام الأمم المتحدة بدفع القوتين العظمتين حينها إلى التوقيع على معاهدة تحظر استخدام المناخ في العمليات الحربية ، وقد تم ذلك في جنيف في عام 1977 ، ورغم هذا التوقيع فقد تسربت من البنتاجون وثيقة في عام 2002 تسمى " استخدام الطقس لمضاعفة القوة " ومفادها أن قوة أمريكا العسكرية ستتضاعف في عام 2025 بسبب استخدامها المناخ كسلاح عسكري ..

يقول د. ألكسندر غيتزبورج نائب رئيس معهد فيزياء الغلاف الجوي الروسي والحاصل على جائزة نوبل والعضو النشط بلجنة " باجواش " لشئون الأمن ونزع السلاح ما يلي : هناك من العلماء من يؤكد أن الأعاصير الشديدة التي شهدتها أمريكا خلال العقد الأخير مثل كاترينا وريتا كان بسبب التجارب الأمريكية التي يتم إجراؤها في قاعدة " هازب " في ألاسكا والتي بها الدرع الصاروخي الذي يواجه روسيا ..

عن السلاح الجيوفيزيائي : كان للولايات المتحدة الأمريكية سبق أيضا في استخدامه ، كان ذلك في عام 2001 في أفغانستان بمنطقة تورا بورا الجبلية حيث قامت قاذفات B 52 باستخدام تكنولوجيا غامضة تسببت في تصدع تلك الجبال ، وفي أعقاب ذلك تعرضت أفغانستان إلى ثلاث هزات ويرجع الكثير من العلماء تلك الهزات الثلاث إلى ما فعلته الطائرات الأمريكية (لاحظ تواجد السد العالي بمصر) ..

عن أسلحة الروبوت القتالي : مرة ثلاثة نقول أن أمريكا كان لها سبق أيضا هنا .. إن أحد أهم أنواعه هي الطائرة بدون طيار .. الروبوت بهذا المعنى يستطيع القيام بشن هجمات جوية مباغتة وحراسة ومراقبة الحدود وإبطال مفعول الألغام ونقل القوات والذخيرة في طائرات هليكوبتر بدون طيار وتغطية القوات في هجومهم أو انسحابهم بقوة نارية كبيرة .. يؤكد المحللون العسكريون أن سوق الروبوت القتالي في العقد القادم سيبلغ 55 مليار دولار وأن عدد طائرات الروبوت بالجيش الأمريكي سيتضاعف أربع مرات ، لكن الأخطر - حسب وجهة نظرنا - هو ما صرحوا به وهو أن ثلث قوات الجيش الإسرائيلي (عددا وعدة) سيكون من الروبوت في العقد القادم ، طائرات الروبوت القتالي تستطيع البقاء في الجو ثلاثين ساعة ولا تعرف الخوف أو الهرب ولا تحتاج إلى أي تكاليف أو وقت للتدريب لعدم وجود طيار بها ..

عن أسلحة السايبر نتك : يمتاز هذا السلاح بعدة مزايا فريدة ، فهو أولا يعتبر السلاح الوحيد من أسلحة الجيل السادس الذي لا يصدر صوتا ، وهو ثانيا يعتبر السلاح الوحيد الذي قد يحقق نصرا تاما على العدو من خلال إحداث شلل كامل بجميع أجهزة الاتصال والسيطرة لديه ،

وهو ثالثا يعتبر السلاح الذي يعمل بشكل دائم حتى في وقت السلم ، وهو رابعا لا يعمل ضد العدو وحده بل ضد الصديق أيضا ، وهو خامسا يعتبر أرخص أنواع أسلحة الجيل السادس ..

إن إسرائيل والصين وروسيا والهند هم من أهم دول العالم المسلحة بهذا السلاح ، ف لديهم جيوش من العباقرة " الهاكرز " يعملون في وقت السلم في محاربة الصديق والعدو معا بالدخول لمراكز أبحاثه العسكرية والمدنية وسرقة التصاميم والأبحاث التي صُرف في إنشائها ملايين – أو بلايين – الدولارات .. أما في وقت الحرب فإن دور الهاكرز يتمثل في السيطرة على أجهزة الإنترنت بغرف قيادة العدو ، قد يصدرن له أوامر بالانسحاب أو الهجوم المضلل ، قد يشلون حركته بالتعطيل أو التشويش .. إن الهاكر هو المجرم الوحيد على الذي تسعى إليه الدول المتقدمة ، لا للقبض عليه بل لمكافأته وتعيينه في أجهزتها وتحقيق مطالبه المادية ، ولم لا ودوره هو زيادة الدخل القومي بالدول بما يقدم لها من سرقات لم ينفقوا عليها مليما واحدا في مراكز أبحاثهم ، ولم لا ودوره في وقت الحرب هو أن تكون قوات العدو رهينة في يديه ..

عن سلاح النانو : تفترض تكنولوجيا النانو استحداث وتركيب مواد جديدة على مستوى الجزيئات والذرات ، وقد استخدم ذلك في البدء باللخمسينات في فصل اليورانيوم 235 عن اليورانيوم 238 ، منذ ذلك الحين دخلت صناعة النانو بشكل متسع جميع المجالات المدنية والعسكرية ، سيستخدم النانو في توليد الطاقة ، وفي الاتصالات والمجال الطبي ، ومواد البناء الجديد ، على سبيل المثال تعتبر الأنابيب الكربونية المنتجة من صناعة النانو أعلى مائة مرة من متانة الأنابيب الفولاذية وأخف منها وزنا بست مرات ، وستدخل صناعة النانو أيضا مجال الطاقة الشمسية وتحولها إلى طاقة مستخدمة لا تنفذ ، وهو ما سيوفر بلايين الدولارات التي تنفق على الطاقة البترولية وما تسببه من أمراض ناتجة عن تلوث البيئة ، وسيكون من الممكن استخدام النانو في شكل حزمة ضوئية لتدمير مذنّب يقترب من الأمراض ..

من المقدر أن تطور الصناعة العسكرية للنانو بشكل كبير في العقد القادم ، وقد يكون هذا التطور مفزعا حتى لمن يمتلك تلك الصناعة ، فما بالنا بتلك الدول المتواضعة التي تنتمي إليها مصر .. هناك طائرات التجسس وراء خطوط العدو التي لا يزيد حجمها عن حبة الأرز ، وهناك صواريخ التوماهوك الأمريكية التي لا يزيد حجمها عن متر ونصف وتصيب هدفها من أبعاد تصل إلى 1200 كم مع نسبة خطأ تتراوح بين صفر ومترين ، وهناك العديد من الأسلحة التي ما زالت في الظلام ويجرى تجريبيها والعمل على تطويرها لمفاجأة العدو بها ..

من المؤسف أن نقول أن إسرائيل من الدول العشر الكبرى في نادي النانو ، ومن المؤسف أكثر أن نقول أن مصر بعيدة تماما عن تلك الصناعة التي ستحقق ثورة علمية وثروة مادية في المستقبل ، رغم أن علماءنا في الخارج يحتلون مكانا محترما في صناعة النانو ..

أين مصر من هذه الأجيال ؟

هذا هو السؤال الهام الثاني الذي يدور في ذهن القارئ الكريم ، حسنا لا شيء في هذه الجزئية يمكن إخفاؤه ، فصناعات السلاح لمصر في عهد مبارك كان يتم مراجعتها وتحديثها في إسرائيل أولا .. أعرف كم هو مؤلم أن يحمل الباحث خبرا سينا إلى القارئ ، هكذا كُتب على الحق أن يكون مرا حنظلا .. مصر لم تخرج من مرحلة أسلحة الجيل الثاني ، هذه هي الحقيقة المجردة من أي مساحيق .. هناك خمسة طرازات من طائرة F16 ، لم تتسلم مصر منها إلا الطرازين الأول والثاني ، ليس هذا فقط ، لكن الكارثة هي أن مبارك الصهيوني اتفق مع أمريكا في تسعينات القرن الماضي على نزع برامج معينة من تلك الطائرة بحيث تتعطل أجهزة الكمبيوتر داخلها لو طارت ناحية الشرق !

(للمزيد في هذا الشأن ننوه إلى مقال بعنوان " F16 المصرية تتعطل إذا طارت شرقا ، لكاتب المقال على مدونته) ..

أغلب الظن أن إسرائيل ستستخدم طائرات الجيل الخامس في حربها القادمة مع مصر وستحدث دمارا واسعا بكل المرافق التي ستمضي جيلا في إعادة بنائها ، لن تفقد إسرائيل جنديا واحدا (متمثلة بحربي كوسوفو وليبيا) ، ستدفع مصر عقب ذلك بما تبقى من قواتها التي ستكون مشتتة ومنهكة ناحية الحدود ، هنا ستستخدم إسرائيل أسلحة الجيل السادس ، سيكون التدمير شاملا وقد تستغرق عملية إعادة البناء عدة أجيال ، وقد تُقسم مصر في تلك المرحلة الأخيرة ..

هل يمكن لمصر أن تتجنب معركة لطم الخدود ، وتجبر العدو على لطم خدوده ؟

هذا هو السؤال الأهم الذي تحتويه هذه الدراسة ، هو ما نطلق عليه في شوارع مصر الـ " المختصر المفيد " ، دعونا أولا نطمئن القارئ المتلهف على الإجابة ونقول له : نعم أيها المصري ، يمكن لمصر فعل ذلك ، وقرأ معي تلك التفاصيل ..

ذكرنا في الحلقة الأولى حجم التكاليف التقديرية لإعادة بناء مصر ، وهذه أرقام متحفظة لي كباحث انتظارا لأرقام المتخصصين ، إن بناء الجيش المصري بالصورة التقليدية سيكون مكلفا جدا وقد تصل تلك التكلفة إلى 80 مليار دولار ، وهذا المبلغ يقترب من كل التكاليف التي ذكرناها في الملفات المدنية بالحلقة الأولى لبناء مصر .. لا بد أن نجد وسيلة رخيصة تتناسب مع إمكاناتنا المتواضعة لردع العدو ونحقق

توازن الرعب معه ، يحسن أولا قبل الخوض في التفاصيل أن نحدد إجابتنا على الأسئلة التالية :

- * هل ستعطينا أمريكا طائرة F35 التي يبلغ ثمنها 300 مليون دولار ، كما فعلت مع إسرائيل ؟
- * إذا أعطينا ، فهل من المعقول أن ندفع هذا المبلغ ومصر تتسول طعامها وتضرب الأمراض في جسدها ويغرق شبابها بالمتوسط ؟
- * ما فائدة استمرار الإنفاق التسليحي المصري على الدبابة والمدفع والطائرة ، إذا تأكدنا أن إسرائيل يمكنها تدميرهم على بعد مائة كم ؟
- * ما هي أرخص البدائل لمواجهة أسلحة إسرائيل من الجيلين الرابع والخامس (السادس يتسرب فقط وما زال تحت الأبحاث) ؟

خطة ثبات مصر وصمودها في معركة لطم الخدود :

- 1- يجب فوراً وقف الإنفاق التسليحي على الدبابة والمدفع والطائرة ، فما لدينا منهم هو عبارة عن حديد خردة مقارنة بما لدى إسرائيل ..
- 2- علينا أن نؤمن بأن عقيدة الصاروخ هي أفضل وسيلة قتالية غير مكلفة تتناسب مع إمكانياتنا ، وذلك من خلال الخطوات التالية :

أولاً : يجب أن نخصص 30 % من ميزانية الإنفاق التسليحي على إيجاد صاروخ دفاع جوى طويل المدى يتمكن من التعامل مع ما لدى إسرائيل من طائرات فائقة التقدم .. يوجد صاروخان في هذا المضمار قد دخلا الخدمة بالفعل ، وهما :

الصاروخ الأول : الصاروخ الروسي S300 ، يستطيع التعامل مع طائرات إسرائيل فائقة التقدم على بعد 150 كم بارتفاع 30 كم ، وهو صاروخ ممتاز ونجح في كل المعارض العسكرية المتخصصة ، وأثبت نجاحاً يفوق الباتريوت (النسخة الأمريكية) ..

الصاروخ الثاني : الصاروخ الروسي S400 ، يستخدم الآن في حماية مقاطعة موسكو ، هو أفضل من سابقه بثلاث مرات ، بمعنى أنه يستطيع التعامل مع طائرات إسرائيل فائقة التقدم على بعد 450 كم بارتفاع 30 كم (أى أن البطارية منه = 3 بطاريات من S300) .. الرائع أن كلا الصاروخين لا يتعارضان مع اتفاقية كامب ديفيد .. إذا رفضت روسيا البيع لنا (كما فعلت مع إيران رغم موافقتها واستلام الثمن) ، فهناك النسخة الصينية المطابقة والأرخص ثمناً ، من المستبعد أن ترفض روسيا لأنه يبيعه لنا لا يتعارض مع اتفاق كامب ديفيد ..

ثانياً : يجب تخصيص 30 % من ميزانية الإنفاق التسليحي لتصنيع صاروخ أرض أرض يزيد عن ألف كم ليحقق توازن الرعب مع العدو .. إذا أدرك العدو أن صواريخنا ستقتل 100 ألف من سكانه إذا قام بهجوم يقتل فيه عدة ملايين من المصريين ، فأغلب الظن هو أنه لن ينفذ هذا الهجوم .. علينا بهذه المناسبة أن ننشأ كلية حربية قائمة بذاتها للصاروخ أرض أرض ، كما فعلنا في 1968 مع الدفاع الجوى ..

ثالثاً : يجب أن نخصص 10 % من ميزانية الإنفاق التسليحي على صاروخ الأفراد القانص للدبابات .. من يعود بذاكرته إلى حرب أكتوبر يعرف أن اللواء المظلي 182 بقيادة العقيد إسماعيل عزمي مع كتيبتي صاعقة مصرية تمكنوا من وقف تقدم فرقة شارون نحو الإسماعيلية بفضل صاروخ RBG 7 ، ومن يعود بذاكرته إلى حرب 2006 بين إسرائيل وحزب الله يعرف أن النسخة الحديثة من هذا الصاروخ (RBG 29) قد أجبرت دبابات إسرائيل على الهروب .. إن المنتصر في الحروب القادمة سيكون - في أغلب الحالات - الأصغر حجماً والأكثر سرعة وتحركاً ، وليس الأكثر تدميراً ، لدينا الفدائي القادر وحده مع صاروخه على مواجهة الدبابة الغالية الثمن والمحملة بالجنود ..

إن عملية إعادة بناء مصر في الملفات المدنية التي ذكرناها بالحلقة الأولى قد تستغرق جيلاً كاملاً ، لكن الأمر لا يحتمل تلك المدة الطويلة في الملف العسكري .. إذا قُدر لحكومة مصر الثورة القادمة أن تطبق تلك الخطة ، فسيكون بمقدورنا تحقيق توازن الرعب في غضون خمس سنوات وربما أقل ، وهي خطة لا تتعارض مع كامب ديفيد .. نستطيع أن نتحرر من قيود المساعدات العسكرية الأمريكية والتي تعتبر حديد خردة إذا قورنت بما لدى إسرائيل .. إنها خطة رخيصة الثمن وتتناسب مع إمكانياتنا ، لكنها عالية الهدف لأنها تحقق الأمن القومي المصري في الصميم ، فالمعركة التي ذكرها المشير المرحوم الجسمي قادمة ولبصائر من إسرائيل ، كما فعلت من قبل ..

رانف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com